كتاب إصلاح المال لابن أبي الدنيا المنهج والأهداف

أ.م.د.مقتدر حمدان عبد المجيد
جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد

الملخص :

يعد كتاب إصلاح المال لابن ابي الدنيا (ت٢٨١هـ) من ابرز مصادر الفكر الاقتصادي الاسلامي ، اذ يعطي صورة مشرفة عن تاريخ الاقتصاد الاسلامي . ويظهر نوعاً من الدقة والعدالة التي جاء بهما ديننا الحنيف ، في سائر القضايا ، ذلك انه يمثل جانباً مهماً من جوانب النظرية الاقتصادية الإسلامية .

وعلى الرغم من إن هذا الموضوع قد طُرق قبل ابن أبي الدنيا وبعده إلا أنَّ ميزة هذا الكتاب عن غيره تظهر جلية واضحة بعد معرفة المكانة العلمية الكبيرة التي وصل إليها مؤلفه ، والزمن الذي صُنِّفَ فيه ، والمواضيع التي بحثها بروية وتأني واعتدال .

فمؤلفه الإمام ابن أبي الدنيا من العلماء الذين عاشوا في القرن الثالث الهجري ، وجعل من نفسه معلماً ومربياً لعامة أبناء المجتمع وخاصتهم ، بعد أن درس على يد كثير من الفقهاء والقراء والنحويين والمحدثين وغيرهم من العلماء الأعلام . وتتلمذ على يديه الكثير من طلاب العلم ، وقام بخدمة أمته ودينه على مر العصور بتصنيفه المصنفات الكثيرة التي زادت على المائتي مصنف ، في اختصاصات متعددة .

المبحث الأول : ترجمة المصنف

اسمه ونسبه : أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي [١] . محدث ، فقيه ، مؤرخ [٢] ، المعروف بابن أبي الدنيا [٣] .

مولده ونشأته : ولد الحافظ الجليل ابن أبي الدنيا ، بمدينة بغداد في أوائل القرن الثالث الهجري ، سنة (٢٠٨هـ/٨٢٣م) [٤] . في عهد الخليفة المأمون (ت٢١٨هـ) ، وقد كانت بغداد آنذاك حاضرة الإسلام ومركز الخلافة ، يؤمها العلماء من كل صوب ، فنشأ في جو علمي زاهر منذ نعومة أظفاره ، في عصر الحضارة الإسلامية الذهبي[٥] . كان والده من العلماء المهتمين بالحديث الشريف [٦] ، فقد هيأ له جواً علمياً خاصاً ، بالإضافة إلى الجو العلمي العام السائد والذي تتمتع به بغداد في ذلك الوقت ، فاهتم به والده كامل الاهتمام ، ورباه على محبة العلم والعلماء ، حتى اصبح يتردد على مجالس العلم المنتشرة في مساجد بغداد ، يقطف من كل حلقة علم وموعظة ، ومن كل مؤدب حكمة .

مكانته العلمية :

تبوأ ابن أبي الدنيا مكانة علمية عالية . ومما يعزز هذا الرأي ويؤكده كثرة الآثار العلمية المتنوعة في اتجاهاتها وأهدافها التي تركها من بعده لتكون خير شاهد على علو منزلته وتمكنه في شتى مجالات العلوم .

للعلماء أقوال كثيرة بحق ابن أبي الدنيا ، نذكر منها : قال أبو علي صالح بن محمد البغدادي ، الملقب بجزرة : صدوق [٧] . وقال أبو حاتم : بغدادي صدوق [٨] . وقال القاضي إسماعيل بن إسحاق : (رحم الله ابن أبي الدنيا ، مات معه علم كثير) [٩] . وقال ابن أبي حاتم : (كتبت عنه مع أبي) [١٠] .

وأما من وثقه وأثنى عليه من الأئمة النقاد ممن خلفوه : المؤرخ المسعودي (ت٣٤٦هـ) إذ ذكره في وفيات سنة ٢٨١هـ ، وذكر انه مؤدب المكتفي بالله ، وصاحب الكتب المصنفة في الزهد وغيره ، ثم قال : (وإنما نذكر وفاة هؤلاء لدخولهم في التاريخ ، وحمل الناس العلم عنهم من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) [١١] . وقال ابن النديم (ت٣٨٥هـ) : (أدب المكتفي ، كان ورعاً زاهداً عالماً بالأخبار والروايات) [١٢] . وقال ابن أبي يعلى (ت٥٢٦هـ) : صاحب الكتب المصنفة [١٣] . وقال السمعاني (ت٥٦٢هـ) : كان ثقةً صدوقاً مكثراً من التصانيف في الزهد والرقائق ، أدب غير واحد من أولاد الخلفاء [١٤] . وقال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) : كان ذا مروءة ثقةً ، صدوقاً [١٥] . قال ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) : صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة [١٦] ، قال ابن باطيش (ت٦٥٥هـ) : (وكان ثقة صدوقاً) [١٧] . قال المزي (ت٧٤٢هـ) : الحافظ صاحب التصانيف المشهورة [١٨] . وقال الذهبي (ت٧٤٨هـ) : تصانيفه كثيرة جداً ، إذا جالس أحداً ، ان شاء أضحكه وان شاء أبكاه في ان واحد لتوسعه في العلم والأخبار [١٩] . وقال أيضا : المحدث العالم الصدوق ، صاحب التصانيف ، كان صدوقاً أديباً إخبارياً [٢٠] ، كثير العلم ، حديثه في غاية العلو [٢١] . وقال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : الحافظ المصنف في كل فن المشهور بالتصانيف الكثيرة ، النافعة الشائعة الذائعة في الرقائق وغيرها ، وكان صدوقا حافظاً ذا مروءة [٢٢] . قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ) : صدوق حافظ صاحب التصانيف مع سعة علمه [٢٣] . وقال ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ) : عالماً ورعاً زاهداً ، وله التصانيف الحسان والناس بعده عيال عليه في الفنون التي جمعها ، اتفقوا على ثقته وصدقه وأمانته [٢٤] . وقال السيوطي (ت٩١١هـ) : الحافظ ، صاحب التصانيف المشهورة المفيدة [٢٥] . وقال الغزي (ت١١٦٧هـ) : الإمام الحبر الحجة الحافظ أبو بكر القرشي البغدادي صاحب التصانيف النافعة الشاسعة [٢٦] ، وقال البغدادي : الإمام الزاهد [٢٧] . قال كحالة : محدث ، حافظ ، مشارك في أنواع من العلوم [٢٨] . قال الزركلي : كان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس [٢٩] . قال د . حسن إبراهيم : (وقد نبغ في عهد المعتضد كثير من الكتاب والمفكرين والشعراء نخص بالذكر منهم ابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ) مثقف الخليفة المكتفي في حداثته) [٣٠] . وقال الطريقي : كان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طباع الناس [٣١] .

اقتباسات العلماء منه

اقتبس عدد كبير من المؤلفين من الإنتاج العلمي لابن أبي الدنيا ، منهم : المؤرخون [٣٢] ، والفقهاء [٣٣] ، والمحدثون [٣٤] ، وكتاب الزهد والرقائق [٣٥] ، والرجال [٣٦] ، والمفسرون [٣٧] .

وفاته : توفى الإمام الحافظ ابن أبي الدنيا يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٢٨١هـ [٣٨] ، وصلى عليه القاضي يوسف بن يعقوب ، ودفن بالشونيزية [٣٩] ببغداد .

المبحث الثاني : كتاب إصلاح المال لابن أبي الدنيا

عنوان الكتاب وصحة نسبته إلى ابن أبي الدنيا

جاء ذكر كتاب إصلاح المال في مصادر مختلفة ، اتفقت جميعها على تسميته بكتاب إصلاح المال . توثقت نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه بعدد من الأدلة ، منها ورد ذكره عند ابن أبي يعلى [٤٠] ، والذهبي [٤١] ضمن ترجمتهما لابن أبي الدنيا ، وجاء ذكره في معجم مصنفات ابن أبي الدنيا [٤٢] ، وعند ابن حجر [٤٣] ، وفي كشف الظنون [٤٤] ، وفي هدية العارفين [٤٥] ضمن ترتيب مصنفات ابن أبي الدنيا ، كما جاء في الرسالة المستطرفة [٤٦] عند الحديث عن المصنف وذكر مؤلفاته ، كما وردت التسمية نفسها على صفحات النسخة الخطية التي اعتمدها ، محقق كتاب إصلاح المال إذ جاء في آخرها ما نصه : (آخر كتاب إصلاح المال ، والحمد لله) [٤٧] .

وفضلاً عن أولئك المؤرخين فقد جاءت نسبة كتاب إصلاح المال إلى ابن أبي الدنيا في مصادر ومراجع أخرى منها على سبيل المثال لا الحصر مغلطاي[٤٨] ، والقصيمي [٤٩] ، والدعجاني [٥٠] ، والطريقي [٥١] ، ودمفو [٥٢] ، ورمضان [٥٣] .

هذه هي المصادر التي وقفت عليها والتي ذكرت الكتاب باسم إصلاح المال وقد ورد في بعض الكتب ذكر كتاب الأموال لابن أبي الدنيا ، واظنهما واحداً ، فقد ذكره ابن حجر في مقدمة كتابه فتح الباري [٥٤] باسم كتاب الأموال واعتمده مصدراً ، وكذلك ورد في معجم مصنفات ابن أبي الدنيا [٥٥] ، لكنه أورد كذلك اسم كتاب إصلاح المال ، مما جعل الاحتمال قائماً بانهما عبارة عن كتابين منفصلين غير قابل للوقوف أمام الحالات المماثلة ــ وهي كثيرة في مصادرنا التراثية ــ لان العادة جرت عند مؤلفينا ان يذكروا اسم الكتاب مختصراً أو بتصرف ، فلا غرابة ان يتحول كتاب (إصلاح المال) إلى (الأموال) والأدلة على ذلك كثيرة [٥٦] . وهذا الأمر لم يقتصر على ابن أبي الدنيا بل حدث مع الكثير من المؤلفين . فعلى سبيل المثال لا الحصر يُشار إلى كتاب (الأمثال في الحديث) لابي عبيد بـ (الأمثال لابي عبيد) [٥٧] ، حتى ان ابن حجر رغم شهرة كتابه (فتح الباري) فانه يذكر اختصاراً بـ (الفتح) [٥٨].

وفي كلا الحالين ، فان تسمية الكتاب بـ إصلاح المال هي المشهورة والمتعارف عليها في الكتب المعنية بهذا الأمر ، وبالتالي فهي تكون بلا شك التسمية التي اختارها المصنف لكتابه هذا . وهذه الدلائل والشواهد المتقدمة لا تبقي أدنى شك في إن هذا الكتاب هو أحد كتب الإمام ابن أبي الدنيا .

وكتاب إصلاح المال لابن أبي الدنيا صدر بتحقيق محمد عبد القادر عطا ضمن مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا ، عن مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت سنة ١٩٩٣م .

كتاب إصلاح المال لابن أبي الدنيا :

ان دراسة هذا الكتاب وأمثاله من مصنفات الإمام ابن أبي الدنيا ذات القيمة العلمية النافعة يمثل أهمية كبيرة في تبيان الجذور التي استند اليها الاقتصاد الإسلامي ، وذلك لما فيه من النفع العميم المترتب على هذه الدراسة الاقتصادية الإسلامية . فان الذي تميزت به مصنفات الإمام ابن أبي الدنيا حرصها المقصود على الموضوعات التربوية الهادفة ، وعنايتها المركزة بعوامل النهوض في تاريخ الأمة من خلال الدروس المستفادة من سير السلف ومواقفهم الحية ومبادراتهم الرائدة ، ولم يكن الحافظ ابن أبي الدنيا يوم وضع هذه المصنفات المهمة يطمح إلى التذكير المجرد السلبي ، بل قصد إلى التذكير الإيجابي الذي يهدف من طرح مثل هذه الموضوعات إعطاء دليلاً هادياً ودعوة إلى اخذ العبرة والدرس ، والمتابعة والتأسي ، وكذلك يكون التعامل المجدي مع النصوص العلمية ، وكذا تكون صورة العلم النافع وبدون هذا التصور يصبح استحضار هذه النصوص واحياءها هروباً من الواقع ، وضرباً من المتعة والتسلية .

وهذا الكتاب القيم (إصلاح المال) للإمام ابن أبي الدنيا يعرض صوراً مشرقةً ، من أحاديث النبي صلى الله عليه وآل بيته الطاهرين وسلم ، وحياة الصحابة والتابعين وما كانوا عليه من تدبير وعدم إسراف واجتناب الكسب الحرام وكل ما يؤدي إليه . صوراً أشبه ما تكون بالخيال ، ولكنها واقع عاشته الأجيال المسلمة فترات متعاقبة من الزمان ، ويمكن بدراسته واستحضاره ان تتجدد الصلة الحية بين ماضي هذه الأمة وحاضرها ، فيكون دافعاً لانطلاقة اكبر ، فانه بما اشتمل عليه من الصور الواقعية الحية يدعو المسلمين من أبناء هذا الجيل إلى ان يصنعوا كما صنع سلفهم الصالح المُصلح ، فيحولوا ما مكتوب إلى أفعال ، ولا يخزنوا النصوص في الذاكرة بل يتذكرونها ويتمثلونها في المواقف والأفعال .

ومن اجل هذا وضع الإمام ابن أبي الدنيا معظم مصنفاته ، وذلك ليضبط تعامل الناس بمعايير الشرع وصوره التطبيقية عند السلف . وفي ضوء ذلك يتضح أمامنا مدى حاجة

المسلمين إلى مثل هذا الكتاب النافع الذي يجمع ولا يفرق ، ويوحد ولا يشتت . وهم يحيون في هذا الظرف العصيب المتردي [٥٩] .

يُعد كتاب إصلاح المال في وقت أحوج ما نكون فيه إلى معرفة كيفية إصلاح أموالنا مع وجود النعم الكثيرة والخيرات الوفيرة التي انعم الله بها علينا .

فالإصلاح لغة : الصلاح ضد الفساد . واصلح الشيء بعد فساده : أقامه [٦٠] .

واصطلاحاً : عدم صرف المال في غير محله ، وفسر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : (وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً) [٦١] . أي إذا رأيتم منهم صلاحاً في دينهم وحفظاً لأموالهم . وإصلاح المال ان لا يكون مالكه مبذراً ، ويصرف المال على وجوه الخير في الصدقات وفك الرقاب وبناء المساجد والمدارس وما شابهها ، ليس بتبذير ولا سرف [٦٢] . بمعنى آخر تنميته بما يرضي الله ويكفي صاحبه وعياله ، وعدم إنفاقه في ما حرم الله [٦٣] . واجمل القول في ذلك الشيخ السيد سابق اذ قال : (إصلاح المال حفظه من الضياع فلا يغبن غبناً فاحشاً غالياً ولا يصرفه في حرام) [٦٤]. والقدرة على إصلاح المال هي احدى العلامات التي يُستدل بها على مقدرة الأيتام في إدارة أموالهم وقد جعلها الفقهاء شرطاً لذلك ، ولا يمكن الوصول إلى إصلاح المال عند الأيتام إلا بالاختبار [٦٥] .

أما المال فقد عرفه ابن منظور بانه : (معروف ، ما ملكته من جميع الأشياء) [٦٦] . وهو بهذا يجعل المال يطلق على كل ما يملكه الإنسان من جميع الأشياء ، والجمع أموال . في حين ذهب ابن الأثير إلى التفصيل اكثر في تبيان ما يطلق عليه لفظ المال ، مشيراً إلى استعمال العرب في ذلك فيقول : المال ما يملك من الذهب والفضة ، ثم اطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان ، واكثر ما يطلق المال عند العرب على الابل ، لأنها كانت اكثر أموالهم [٦٧] .

وتكرر ذكر المال على اختلاف مسمياته في الحديث النبوي الشريف . فذكر النبي التمول بمعنى اتخاذ المال قنية فيقال : تمول فلان مالاً إذا اتخذ قنية . فعن عبد الله بن عمر قال : ان رسول الله كان يعطي عمر بن الخطاب العطاء ، فيقول له عمر : أعطه يا رسول الله أفقر إليه مني . فقال له رسول الله : (خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ، والا فلا تتبعه نفسك) [٦٨] . قال سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : فمن اجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل احداً شيئاً ولا يرد شيئا أعطيه [٦٩] .

فقول النبي فتموله أي اتخذه قنية أو تصدق به ما دام هذا العطاء قد جاء من غير تطلع إليه ولا حرص عليه . وقوله : وما لا فلا تتعبه نفسك ، أي ما لم يوجد فيه هذا الشرط لا تعلق النفس به . أما تعريف الفقهاء للمال فقد اشترطوا لإطلاق اسم المال على الشيء أمرين :

١ . أن يمكن إحرازه وحيازته

٢ . أن يمكن الانتفاع به انتفاعاً معتاداً

فاذا لم يمكن إحزار الشيء ولا حيازته كالهواء وحرارة الشمس وضوء القمر والذكاء ، والعدالة والعلم وغيرها من الأمور المعنوية ، لا يسمى مالاً شرعاً . وكذلك الأشياء التي يمكن حيازتها ، ولكن لا يمكن الانتفاع بها كالأطعمة الفاسدة ولحوم الميتة لا تسمى مالاً شرعاً ، وايضاً ما امكن إحرازه لكن لا يمكن أن ينتفع به انتفاعاً يعتد به عند الناس : كقطرة الماء ، أو حبة القمح . فصفة المالية لا تثبت للشيء إلا بالتمول ، والتمول : حيازة الشيء وإحرازه .

والشارع الإسلامي لا يعد كل مال صالحاً للانتفاع مباح الاقتناء والاستعمال والاستقلال بل من الأموال ما لا يباح الانتفاع به للمسلم ولا يجوز له اقتناؤه وادخاره ، مثل : الخمر الخنزير فان المسلم غير مباح له الانتفاع بهما وملكيته لهما ملكية غير جائزة لا غرم على من أتلفهما في يده ويسمى هذا النوع من المال مالاً غير متقوم لان الشارع لا يعترف له بقيمة إذ لا يبيح الانتفاع به في حال السعة والاختيار ولا يبيح الانتفاع إلا في حال الاضطرار كمن لا يجد ماء وهو في حال ظمأ شديد يخشى معه هلاكه ووجد خمرا جاز له ان يشرب منها غير طالب لها راغب فيها وغير مجاوز حد الضرورة [٧٠] .

ويسمى النوع الذي يباح الانتفاع به مالاً متقوماً لان الشارع اعترف بقيمته الذاتية وأباح الانتفاع به بكل طرائق الانتفاع وهو مصان من الاعتداء عليه ، ومن يفعل ذلك غرم والزم بقيمته أو مثله على حسب الأحوال [٧١] . ونرى من هذا ان المالية تلازم التقوم فحيثما كان تقوم فلا بد ان تصحبه مالية وقد تكون المالية من غير ان يثبت تقوم ويكون حينئذ مالا غير متقوم لا يعترف الشرع له بقيمة ذاتية ولا يضفي عليه قيمة شرعية .

ولكن هذا إنما هو خاص بالمسلمين أما غير المسلمين فان كان المال غير المتقوم عندنا يتعاملون هم به وينتفعون به في ديانتهم فقد امرنا باحترامه لانا مأمورون باحترام كل ما يتدينون به [٧٢] . إذ امرنا بتركهم وما يدينون فالخمر والخنزير عند أهل الذمة أموال متقومة لا يجدون عندهم حرج ديني في الانتفاع بهما ، فحق علينا ان نحترمها فإذا اتلف شخص لذمي خمراً أو خنزيراً وجب عليه ان يضمن له ما اتلف وان ترافعا إلى القضاء الزمه بالضمان ، وعقودهم فيهما من بيع وشراء وغيرهما صحيحة محترمة مصونة

ويمكن ان نقول ان إصلاح المال يعني الاستثمار في عصرنا الحالي . فالاستثمار هو زيادة راس المال بجميع أنواعه ، أي سواء أكانت الزيادة في راس المال الثابت أم براس المال المتداول [٧٣] . فالاستثمار مشتق من الثمر وهو حمل الشجر . يقال : ثَمر الله مالك أي كثره ، وأثمر الرجل أي كثر ماله [٧٤] . والثمر كثرة المال المستفاد ، قال تعالى : (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً) [٧٥] .

والاستثمار مصدر الفعل استثمر ، الدال على الطلب ، أي ان الاستثمار هو استخدام المال أو تشغيله ، بقصد تحقيق ثمرة هذا الاستخدام ، فيكثر المال وينمو على مدى الزمن [٧٦] .

والاستثمار في الشريعة الإسلامية يطلق على تنمية المال ، بشرط مراعاة الأحكام الشرعية في استثماره [٧٧] . فهو طلب ثمرة المال ونمائه في أي قطاع من القطاعات الإنتاجية ، سواء أكان ذلك في التجارة أم الزراعة أم الصناعة أم غيرها من الأنشطة الاقتصادية عير المحرمة شرعاً [٧٨] .

وقد حث الإسلام على الاستثمار ، ففي القران الكريم آيات عدة تدعو إلى استخدام المال وتنميته ، قال تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) [٧٩] . وقال : (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) [٨٠] . وفي هذه الآية دعوة صريحة للعمل في الأرض واستثمار طيباتها التي سخرها الله للبشر . كما قال تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [٨١] . وقد وضع الباري عز في علاه الضرب في الأرض بهدف الكسب في مرتبة الجهاد في سبيل الله [٨٢]

ومن أحاديث الرسول الدالة على حرص الإسلام على راس المال والمحافظة عليه هو نهيه عن بيع وسائل الإنتاج وإنفاق ثمنها لاقتناء مواد استهلاكية اذ قال عليه الصلاة والسلام : (من باع أرضا لم يبارك له إلا أن يجعله في مثله) [٨٣] .

كتاب إصلاح المال لابن أبي الدنيا الذي نقوم بدراسته واحد من مؤلفاته العديدة في الزهد والرقائق ذكرته المصادر متفقة على تسميته بكتاب إصلاح المال ، ويعد المؤلف رائداً في موضوعه إذ جمع ما قيل في كيفية إصلاح المال من آيات وأحاديث وآثار وأخبار ، وقد جعل

كتابه مقسماً إلى أبواب عدة في كل باب تطرق إلى موضوع مختلف عن الآخر . مورداً ذلك بطريقة المحدثين بالسند المتصل مع استشهاده بكثير من الشعر [٨٤] .

يبقى له الفضل في السبق إلى هكذا موضوع ، وقد التزم المؤلف في هذا الكتاب الطريقة نفسها التي سار عليها في اغلب ، ان لم نقل كل كتبه ، فهو يورد الأحاديث والأخبار في كل موضوع على حدة . وقد قسم كتابه إلى أبواب عدة هي :

باب أخذ المال من غير حقه ، وباب فضل المال ، وباب إصلاح المال ، وباب الرفق في المعيشة وحسن التدبير ، وباب الاحتراف ، وباب أفاضل التجارات ، وباب المذموم من التجارة ، وباب المماكسة في الابتياع ، وباب العقارات ، وباب الضياع ، وباب عمل اليد ، وباب القصد في المال ، وباب القصد في المطعم ، وباب القصد في الملبس ، وباب التركات ، وباب في كثرة المال ، وباب الفقر .

دوافع تصنيف كتاب إصلاح المال :

لابد لكل عمل يقوم به الإنسان من دوافع وأهداف ، يسعى لبلوغها والوصول اليها ، لاسيما ان كان من الأعمال العلمية والتي تتطلب الجهد والوقت معاً ذلك انها تحتاج إلى تمحيص وتدقيق واستيعاب .

وكتاب إصلاح المال هذا عمل علمي دقيق ، حيث راعى فيه مصنفه الأسلوب العلمي الموضوعي ، والعرض المتكامل الشامل لما فيه من جزئيات ، وبعد دراسة البيئة التي نشأ ابن أبي الدنيا فيها ، والمجتمع الذي تربى وربى فيه ، يمكن تشخيص بعض الدوافع التي كانت وراء الأقدام على هذا التصنيف والمتمثلة فيما يلي :

١ ـ لما كان المجتمع آنذاك يعيش في دعة وراحة ورفاهية ، نتيجة الخيرات التي كانت تنهال عليه بعد عمليات الفتوح والنصر التي حققها المسلمون ، فقد لزم على العلماء في ذلك الوقت ان يجتهدوا في توعية أبناء المجتمع ويذكروهم بما يحفظ عليهم دينهم ، ويدفع عنهم شهوات الأنفس ، والتي تؤدي بصاحبها إلى المهالك ، وقد كان ابن أبي الدنيا من هذه الثلة التي جعلت من نفسها مرشداً إلى عقيدة السماء فكان هذا الكتاب [٨٥] .

٢ ـ قُرْبُ ابن أبي الدنيا من الخلفاء وأولي الأمر كان له عظيم الأثر في ظهور هذا الكتاب . فقد كان مؤدباً لأبناء الخلفاء الذين سيؤول اليهم الأمر بعد ذلك ، فعمل على غرس بذور الإيمان وتنميتها فيهم ، لهذا فهو قد الف في كل فن ولم يقتصر على نوع معين من أنواع الثقافة [٨٦] .

وعمله هذا في تأديب أبناء الخلفاء إنما هو اقتفاء لأثر شيخه أبي عبيد القاسم بن سلام ، الذي أدب أهل القائد هرثمة بن أعين [٨٧] ، فجاء من بعده وقام بهذه المهمة التي لا تُسنَد إلا

لمن أبحر في العلوم وحاز السبق فيها ، فأدب الخليفة المعتضد بالله (ت٢٨٩هـ) وابنه علياً (ت٢٩٥هـ) [٨٨] ، فرأى ان هؤلاء وغيرهم من أهل الخليفة سيكون بأيديهم زمام الأمر بعد فترة من الزمن ، فعمل على اطلاعهم على ما يجب عليهم ان يطلعوا عليه ، لاسيما في الأمور التي تتعلق بأموال المسلمين ، والتي تُجمع بين أيديهم ، من حيث الاحتراز والتثبت مما يأخذه المسلم ويتملكه ، فبين لهم شروط التملك وغاياته وطرقه وما إلى ذلك . وافرد هذا الكتاب لجمع النصوص التي توضح هذه الأمور [٨٩] .

٣ ـ كذلك لما كان احد شيوخه وهو أبو عبيد القاسم بن سلام مؤلفاً لكتاب من اعظم الكتب التي تتحدث في فقه الأموال ، فقد اسهم هذا في توجهه إلى هذه الوجهة ونهجه في هذا الطريق ، محاولاً تكميل المنهج الذي ابتدأه شيخه ، في إصلاح الراعي والرعية ، فشيخه قد بين المسائل الفقهية المتعلقة بالأموال ، فجاء هو وبين المسائل التربوية والتعليمية في اخذ الأموال وإصلاحها والاقتصاد فيها ، فاظهر بالنصوص التي أوردها في ذلك ان الاقتصاد في الأمور المعاشية وغيرها من الضروريات التي لا غنى للمسلم عنها في حياته [٩٠] .

٤ ـ ولما كان ابن أبي الدنيا مربياً ومؤدباً وموجهاً معروفاً ومشهوراً في ذلك الوقت ، فقد لزم ان يقوم بتربية أفراد المجتمع وتوجيههم في شتى المجالات والاتجاهات ، فيبدو انه قد ابتدأ معهم بتربية نفوسهم وتأديبها ، منطلقاً في ذلك من تأديب السنتهم وتربيتها حيث صنف في ذلك كتاب الصمت وآداب اللسان . ثم حثهم على لزوم التواضع وعدم الاغترار بما يؤول للإنسان من متاع في هذه الدنيا ، وبحث بهذا الاتجاه كتاباً اسماه التواضع ، وبعد ذلك ينطلق لتربيتهم التربية الجماعية ، فيبين لهم حقوق بعضهم على البعض والتي رائدها الأخوة الإسلامية ، ويبعث بهذا الاتجاه كتاباً متخصصاً كذلك ، ويسميه الإخوان ، ثم يدخل إلى ما يحبه الإنسان حباً جماً ، ليبين له طرق امتلاكه والحقوق المنوطة به ، وسبل تنميته وإصلاحه ، والنظرة الإسلامية اليه فكان هذا الكتاب [٩١] .

٥ ـ ان الفكر الاقتصادي الإسلامي عُني بالمال من حيث تعريفه وتحديد معناه وطرائق كسبه ومشروعية هذه الطرائق وأهميته للفرد والدولة وينظر اليه على انه ثمن يلبي الحاجات اذ انه يُدفع عوضاً عن مواد وحاجات وأعمال ، وينظر اليه انه عنصر من عناصر الإنتاج ومن جهة التملك فهو ملكية عامة وملكية خاصة . والمال في المفهوم الاقتصادي كل ما ينتفع به على وجه من الوجوه كما انه يعد كل ما يُقوم بثمن اياً كان نوعه واياً كانت قيمته مالاً [٩٢] .

وللمال في الإسلام حرمته وقداسته وقد وجب الحفاظ عليه حتى عد القتال من أجله والموت في سبيله من الشهادة ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (من قتل دون ماله فهو شهيد)

[٩٣] . ولهذا لا يجوز الاعتداء على أموال وممتلكات الآخرين ، اذ حرم الإسلام السرقة والغصب والاختلاس والخيانة والربا والغش والتلاعب بالكيل والوزن . وعد كل ما اخذ بغير وجه حق اكلاً للمال بالباطل . ومن باب المحافظة على المال فقد نهى الإسلام عن التبذير وشراء الحاجات المحرمة [٩٤] . ولا يعطى للسفهاء الذين لا يصونونه ، قال تعالى : (وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا)[٩٥] .

منهج الكتاب

ركز ابن أبي الدنيا رحمه الله على قضية أساسية واحدة هي الإنسان ، وكيف يكسب المال ؟ وكيف يحافظ عليه وينميه ولا يسرف فيه ولا يبذره ؟ . وفي هذا الاطار وهذا المنهج جاء بحثه في المسائل الاقتصادية في كتابه إصلاح المال ، وفي بعض كتبه الأخرى [٩٦].

ان كتاب إصلاح المال يُعد من اهم الكتب التي بحثت هذا الموضوع وانفردت به ، كما انه من اسبق ما كُتب بالمنهجية والطريقة التي جاء عليها ، والتي يمكن إعطاؤها الميزات الآتية :

١ ـ حُسنُ تقسيمه للكتاب ، حيث قسمه إلى جزأين ، وكل جزء إلى أبواب كثيرة [٩٧] ، راعى فيها الدقة والشمول ، فمثلاً حين يتحدث عن الاحتراف يُفرد له باباً مخصصاً ويحث عليه ويُرغب فيه [٩٨] ، ببيان اجر الاحتراف واجر العامل على وجه العموم [٩٩] ، ثم يتحدث عن التجارة كنوع من أنواع الاحتراف ، فيحث عليها [١٠٠] ، وعلى الصناعة [١٠١] ، بعد ذلك يُظهر مكانة التاجر والمحترف بصورة عامة في الإسلام [١٠٢] ، ثم يدعو إلى العمل ويحث عليه [١٠٣] ، ويبين انه ليس لعامة الناس فحسب ، بل هو لأولي الأمر كذلك [١٠٤] ، وبعد هذا يُظهر هدف الاحتراف [١٠٥] ، ثم يتحدث عن قيمة العمل [١٠٦] ، والترهيب من ترك الحرفة [١٠٧] ، والدعوة إلى الضرب في الأرض ابتغاء الكسب الطيب [١٠٨] ، ثم يورد بعض النصوص التي تشتمل على توجيهات كريمة في هذا المجال [١٠٩] ، ومن ثم يُنهي هذا الباب بإظهار الأجر الذي يتحصل عليه المسلم حين يكتسب الحلال لينفقه في الحلال [١١٠] .

٢ ـ إيراده جميع نصوص الكتاب بالإسناد إلى قائليها ، سواء كانت احاديث نبوية ، أو اثاراً عن الصحابة والتابعين ، أو أبيات شعرية ، أو اقوالاً للحكماء ، أو غير ذلك . ويعتمد في هذا كله على السماع المباشر أو غير المباشر [١١١] .

٣ ـ ترتيبه للنصوص في كل باب على منهج واحد ، حيث يبدأ بإيراد الاحاديث النبوية ، ثم أقوال الصحابة والتابعين وأثارهم ، ثم أقوال الحكماء وأشعارهم ، مع كثرة الاستدلال بالأقوال [١١٢] .

٤ ـ وحين يفرد المؤلف الحديث عن موضوع معين لا يجاوزه إلى غيره ، ولا ينتقل منه إلا بعد استيفائه لجميع جوانبه . لهذا فقد تميز الكتاب بالوحدة الموضوعية والتخصص ، رغم كثافة مادته العلمية [١١٣] .

٥ ـ وهو لا يكرر مادته إلا عند الحاجة ، كأن يكرر حديثاً بلفظين مختلفين في الباب نفسه ، أو في بابين مختلفين ، وذلك لإخراج ذلك الحديث من طريقين مختلفين . وهي طريقة مُتبعة عند المحدثين ، تهدف إلى تقوية الاحاديث بعضها ببعض [١١٤] .

٦ ـ يُلاحظ ان ابن أبي الدنيا لا يُقَدم للكتاب بما يبين غرضه ، وما قصد اليه من تأليفه . وهل طُلب منه ذلك ؟ ام انه دفع نفسه لتأليفه نظراً لاحتياج المجتمع آنذاك ، ولمعالجة مشاكله [١١٥] . وأول ما في كتاب إصلاح المال العبارة الآتية : (اللهم اني أسألك الإعانة والتتميم) [١١٦] .

٧ ـ ولم يتعرض لنقد الرجال أو الحكم عليهم ، أو على مروياتهم . كما لم يتعرض لشرح مجمل أو حل غامض ، أو بيان معنى إلا قليلاً ، ومن ذلك : ما جاء في قول ابن عمر ، حين قال لغلامه : يا غلام انطلق فاشتر لنا بهذا زجراً . فقال أبو بكر : يقول لوبيا [١١٧]. وفي تفسيره لمعنى الونى في حديث رسول الله : (من بات وانياً من طلب الحلال) فقال : أي تعباً [١١٨] .

وهناك قضية تلحظ في منهجية المصنف وهي أخذه بعض الروايات من دون معرفة اصلها أو قائلها ، وذلك كأن يقول : قال بعض الحكماء [١١٩] ، أو بعض العقلاء [١٢٠] ، أو بعض الشعراء [١٢١] ، أو كما يقال وقيل [١٢٢] . وخلال تتبعي لتخريج تلك الروايات أو النصوص لا حظت ان بعضها نُسب إلى أقوال حكماء الهند [١٢٣] . حتى انه قال بنفسه : كل ما قلت في كتابي : (ذكر فلان) فاني سمعته من رجل عنه [١٢٤] .

٨ ـ ومن يستعرض كتاب إصلاح المال أو غيره من كتب المصنف يجده يستخدم بعض الروايات القديمة ، سواء المنسوب منها إلى أشخاص الأنبياء السابقين [١٢٥] ، أو غير ذلك ، كأن يقول : عن بني إسرائيل [١٢٦] ، أو عن التوراة [١٢٧] ، أو عن بعض الكتب [١٢٨] .

٩ ـ المنهج الذي استخدمه ابن أبي الدنيا ، منهج استقرائي ، وذلك من خلال الاعتماد على الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين ، ولكنه كان نادراً ما يبدي رأيه بما يروه ، إلا بعض الحالات البسيطة ، ومنهجه هذا يقترب كثيراً من المنهج الإسلامي الصحيح في البحث العلمي . لكن ما يؤخذ عليه انه كان يعتمد على احاديث وأخبار وأقوال مأثورة لم يتحقق من ثبوتها . مما جعل الكثير من معاصريه ومن اللاحقين به ينتقدونه على فعله هذا ، وأورد في كتابه إصلاح المال أقوال اكتفى بان قال عنها : (قيل ، وكان يقال) وألفاظ كهذه ، هكذا من دون ان يذكر من قال ؟ وفي أي زمن ؟ وما مصدره ؟ فضلاً عن ان كل

كتبه تخلوا من المقدمة التي اعتاد المؤلفون المسلمون على تدوينها ، ومن خلالها يبينون سبب التأليف ومن المقصود من الكتاب [١٢٩] .

١٠ . أحسست ان ابن أبي الدنيا من خلال كتابه إصلاح المال ربط بين عقيدة المسلم وبين إيمانه بالاقتصاد ، ربطاً مباشراً . ويبرز ذلك واضحاً من اسم الكتاب ، والقضايا التي عالجها ، ومن خلال موقفه من السلوك الاقتصادي للمسلم انتاجاً واستهلاكاً وانفاقاً وتملكاً . فمرة نراه يدعوا إلى العزلة وترك النشاط الاقتصادي والتنازل عن حد الكفاية والنزول إلى اقرب ما يكون إلى حد الكفاف ، ومرة أخرى يدعو إلى العمل والكسب وممارسة النشاط الاقتصادي ، وعد العمل المعاشي عبادة يثاب عليها المسلم ، لكن المنهج الذي فضله ابن أبي الدنيا رحمه الله هو التقشف ، وعدم الإغراق بالتمتع بالطيبات [١٣٠] .

١١ . ان المنهج الاقتصادي لابن أبي الدنيا منهج إسلامي ، له أصول إسلامية صحيحة تؤيده ، ولا نستطيع ان نقول ان منهجه هو المنهج الإسلامي الوحيد ، هناك مناهج أخرى منها منهج الوسطية ، ومنهج التمتع بالطيبات ، ومنهج التقشف وغيرها . اذ غلب على ابن أبي الدنيا نظرة ان الدنيا مزرعة للآخرة [١٣١] .

١٢ . استخدام الوسيلة بالقدر الكافي لتحقيق الغاية ، أي ان يقتصر تعامل الإنسان مع الوسيلة على الحدود الدنيا الضرورية ، لتمكنه من تحقيق الغاية [١٣٢] .

١٣ . يُعد كتاب إصلاح المال لابن أبي الدنيا من ابرز كتبه التي أطال المؤلف النفس فيها جداً ، على خلاف عادته في باقي كتبه الأخرى ، اذ بلغ مجموع نصوصه (٥١٣) نصاً منها (٤٨٠) نصاً مسنداً تناول فيها المؤلف قضية المال الذي يعد احد أسباب بقاء الحياة ، فتناول المؤلف سبل كسب المال المشروعة وطرق حفظه وأبواب أنفاقه النافعة للمسلم في الدنيا والآخرة [١٣٣] .

١٤ . قسم ابن أبي الدنيا كتابه إلى (١٧) باباً وتناول الكتاب معظم جوانب القضية التي بحثها ، ونرى المؤلف قد اكتفى بمجرد جمع النصوص من دون انتقاء الثابت منها عملاً بقول المحدثين : (من اسند لك فقد أحال وبالتحقيق يتبين الحال) [١٣٤] . أي من ذكر الأسناد فقد أحالك على الكشف عن حالة الحديث ، من خلال النظر في إسناده . وقال السيوطي [١٣٥] : من اسند فقد برئت عهدته ، لأنه ذكر الوسيلة إلى معرفة درجة الحديث ، وبالتحقيق يتضح حاله .

١٥ . من خلال قراءة كتاب إصلاح المال يمكننا القول : ان ابن أبي الدنيا يعد من اكثر علماء عصر الرواية في القرنين الثالث والرابع الهجريين تأليفاً وتصنيفاً ، فقد اشتهر بكثرة المؤلفات في فنون شتى كالقراءات والمال والحديث واللغة والأدب والتاريخ وغيرها ، كما اكثر من

التأليف في الزهد والرقائق ، الذي أعطاه جل اهتمامه ، وافنى فيه عمره حتى اصبح في عصره من أئمة هذا الموضوع ، ان لم يكن أمامه على الإطلاق . اذ أصبحت مصنفاته مصدراً للكثير ممن صنف في هذا الموضوع بعده [١٣٦] .

وخلال استقرائي للنصوص التي أوردها ابن أبي الدنيا وجدتها وعظية وتعليمية ، وليس فيها مخالفة لأصول الدين الإسلامي ، إلا رواية واحد ، تتعلق بالحديث عن نبي الله ايوب عليه السلام [١٣٧] .

واخيراً فان من يطلع على كتاب إصلاح المال يُدرك ان الاعتدال من جميع جوانبه من الميزات التي تميز بها المصنف فهو مربي ومؤدب امتازت توجيهاته بالميزة الزهدية ، وصبغت بها من غير غلو في ذلك ، مما يدل على تمكنه من الناحية الفقهية ، والتي لا تسمح له بالخروج عن اطار تعاليم الإسلام [١٣٨].

أهمية الكتاب

تظهر أهمية كتاب إصلاح المال جلية بعد استقراء جميع الجزئيات التي بحثها . ذلك أنها تمثل اللبنات الأولى لبناء الاقتصاد الإسلامي ، حيث يمكن ان يُصنف هذا الكتاب ضمن الكتب التي تحدثت عن النظرية الاقتصادية في الإسلام ، ولكنه عرض هذه النظرية مصاحبة للتطبيقات العملية والعلمية الممكنة ، والتي تخرجها عن كونها نظرية فحسب إلى كونها نظرية طبقت وصالحة للتطبيق في كل وقت [١٣٩] .

والناظر إلى كتاب إصلاح المال يجده يعرض موضوعات في غاية من الأهمية ليس لأنها مستحدثة على الفكر الاقتصادي ، بل لأنها تؤصل وتأسس لعلم الاقتصاد الإسلامي من الناحية النظرية والتطبيقية على حد سواء [١٤٠] .

فهو كتاب يقوم على نصوص و روايات اختارها بدقة وعناية ابن أبي الدنيا بحنكته وخبرته وتبحره في هذا الميدان ، وركز عليها للانطلاق من أخلاقيات النظام الاقتصادي الإسلامي حتى يصل إلى إظهار المنهج الإسلامي في معالجة بعض المشاكل الاقتصادية في كل زمان ومكان ، ذلك أنها تتعلق أولاً وأخيراً بالسلوك البشري وتصرفه إزاء الحاجيات الاستهلاكية .

الخاتمة

أوضح ان ابن أبي الدنيا رحمه الله ، في كتابه إصلاح المال ، أسساً وقواعد مهمة للمسلم في كيفية التعامل مع المال ، وطرق تملكه وتنميته وادخاره وإنفاقه .... الخ ، واستشهد بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وممارساته العملية وأقوال الصحابة ، والتابعين ، وغيرهم .

ويأتي اختيار عنوان كتاب (إصلاح المال) في مقدمة إبداعات ابن أبي الدنيا وإنجازاته ، كما انه وفق في وضع تصميم مناسب لفصول الكتاب اظهر فيها قدرة كبيرة على تناول الحوادث التاريخية وتوظيفها في مفردات الفصول والمباحث ويدل ذلك على تفهم ابن أبي الدنيا وقدرته العلمية تثمين النصوص التاريخية وموازنتها مع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة التي تناولت موضوع إصلاح المال . ذلك ان ابن أبي الدنيا اسهب في كتابه (إصلاح المال) في تبيان تفصيلات دقيقة أشارت إلى كيفية استثمار المال وتنميته .

بعد هذه الدراسة المستفيضة الموضوعية لإصلاح المال ، التي من خلالها تعرضنا لملكته واستثماره وإنفاقه وطرق الحصول عليه ، توصلنا إلى ما يلي :

١. ان مثل هذه الدراسة الموضوعية اعانتنا على فهم الاحاديث النبوية والترجيح بين المتشابه منها .

٢ . لاحظنا ان هناك امتزاج بين الأحكام الشرعية وآداب الكسب والإنفاق والعمل والتجارة ، إذ ان لكل واحد منها توجيهاته النبوية الخاصة به والتي تجعله في إطاره الإسلامي .

٣ . ان الاحاديث التي تتناول دور على المال ، لها علاقة مباشرة بطريقة ملكية هذا المال ، فالحث على الإنفاق ، كان يدفع بالمسلم إلى العمل والكسب الطيب لينفق من هذا الكسب ابتغاء مرضاة الله .

٤ . من خلال التوجيهات النبوية اتضحت لنا قدرة البشر على التغلب على الفقر ، وإيجاد فرص وطرق مبتكرة للكسب والقضاء على البطالة .

٥ . احاديث النبي صلى الله عليه واله وسلم أكدت للمسلم على ان اي إنسان لم ولن يموت حتى يستوفي رزقه الذي قدره الله له . فلا حاجة إلى الاستعجال في طلب الرزق ، أو ابتغاءه من غير الوجوه الشرعية .

٦ . الاستمرار في الإنفاق المعتدل المنظم من غير إسراف ، والابتعاد عن البخل ، فان الاستمرار بالقليل خير من الكثير المنقطع .

٧ . الابتعاد ما قدر المسلم عن سؤال الناس والاكتفاء بما متيسر وان كان قليلا شحيحا .

٨ . ان المعاملات التجارية بين المسلمين أساسها التراضي ، وعدم الغش ، وتحري الصدق والأمانة من كلا الطرفين .

آخر كتاب « إصلاح المال » ، والحمدلله بمحامده كلها
ما علمنا منها وما لم نعلم ، على نعمه ما علمنا منها
وما لم نعلم ، وصلواته وسلامه
على محمد وآله
وصحبه وسلّم

الهوامش :

[١] أبو يعلى ، طبقات الحنابلة ، ج ١، ص ١٩٢ . اليافعي ، مرأة الجنان ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .
[٢] الذهبي ، تذهيب تهذيب الكمال ، ج ٥ ، ص ٢٩٧ . السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٩٨ .
[٣] ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ١٤٨ . ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٣٧٨ .
[٤] ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ١٤٨ . المديني ، ذكر ابن أبي الدنيا ، ص ٢٠٨ .
[٥] متز ، الحضارة الإسلامية ، ج ١ ، ص ٣١٩ . لوبون ، حضارة العرب ، ص ٢١٧ .
[٦] هو محمد بن عبيد بن سفيان ، مولى بني أمية ، روى عنه ابنه أبو بكر بن أبي الدنيا احاديث مستقيمة . (ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٢ ، ص ٣٧٠) .
[٧] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٠ ، ص ٩٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ١٤٨ .
[٨] ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج ٥ ، ص ١٦٣ .
[٩] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٠ ، ص ٩٠ . المزي ، تهذيب الكمال ، ج ١٦ ، ص ٧٧ .
[١٠] ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج ٥ ، ص ١٦٣ .
[١١] مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٨٣ .
[١٢] الفهرست ، ص ٢٣٦ . ينظر ايضاً : الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج ٢ ، ص ٦٧٧ .
[١٣] طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٢ .
[١٤] الأنساب ، ج ٤ ، ص ٤٧١ .
[١٥] المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٤٨ .
[١٦] الكامل ، ج ٦ ، ص ٣٧٨ .
[١٧] التمييز والفصل ، ج ١ ، ص ٣٢٢ .
[١٨] تهذيب الكمال ، ج ١٦ ، ص ٧٢ .
[١٩] سير ، ج ١٣ ، ص ٣٩٩ .
[٢٠] العبر ، ج ١ ، ص ٤٠٤ .
[٢١] تذكرة الحفاظ ، ج ٢ ، ص ٦٧٩ .
[٢٢] البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٨٢ .
[٢٣] تهذيب التهذيب ، ج ٦ ، ص ١١ .
[٢٤] النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٨٦ .
[٢٥] طبقات الحفاظ ، ص ٢٩٨ .
[٢٦] ديوان الإسلام ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .
[٢٧] هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٤٤١ .
[٢٨] معجم المؤلفين ، ج ٦ ، ص ١٣١ .
[٢٩] الأعلام ، ج ٤ ، ص ١١٨ .
[٣٠] تاريخ الإسلام ، ج ٣ ، ص ١٨ .

[٣١] معجم مصنفات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٥١ .
[٣٢] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٨٦ . ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٣ ، ص ٥١ .
[٣٣] النووي ، المجموع ، ج ١٥ ، ص ١٦٧ . الشربيني ، مغني المحتاج ، ج ٣ ، ص ١٧٤ .
[٣٤] الدارقطني ، سنن ، ج ٣ ، ص ٢٤ . الحاكم ، المستدرك ، ج ١ ، ص ٣٧٥ .
[٣٥] ابن المرزبان ، ذم الثقلاء ، ص ١٤ . السامري ، فضيلة الشكر لله ، ص ٦٣ .
[٣٦] ابن عدي ، الكامل ، ج ٢ ، ص ٣١٨ . الرازي ، الجرح والتعديل ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .
[٣٧] القرطبي ، الجامع لأحكام القران ، ج ١٦ ، ص ١٤٥ . ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، ج ١ ، ص ٣٧١ .
[٣٨] المديني ، ذكر ابن أبي الدنيا ، ص٣٥٣ . مجير الدين الحنبلي ، المنهج الأحمد ، ج١ ، ص ٢٩٣.
[٣٩] الشُوْنِيْزِيه : بالضم ثم سكون ثم نون مكسورة وياء ساكنة . مقبرة ببغداد بالجانب الغربي ، دفن فيها جماعة من الصالحين منهم الجنيد . ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٧٤ .
[٤٠] طبقات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٩٢ .
[٤١] سير ، ج ١٣ ، ص ٤٠١ .
[٤٢] مجهول ، معجم مصنفات ، ص ٥٨٤ .
[٤٣] المعجم المفهرس ، ص ٦٦ .
[٤٤] حاج خليفة ، ج ٢ ، ص ١٣٩٢ .
[٤٥] البغدادي ، ج ١ ، ص ٤٤٢ .
[٤٦] الكتاني ، ص ٥٠ .
[٤٧] ينظر الصورة المرفقة في ملحق رقم ١ .
[٤٨] إكمال تهذيب الكمال ، ج ٨ ، ص ١٧٨ .
[٤٩] تسهيل السابلة ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .
[٥٠] موارد ابن عساكر ، ج ٣ ، ص ١٩٠٠ .
[٥١] معجم مصنفات الحنابلة ، ج ١ ، ص ١٥١ .
[٥٢] ابن أبي الدنيا ومصنفاته ، ص ٤٢ .
[٥٣] فهرس الاحاديث التي رواها ابن أبي الدنيا ، ص ١٢ .
[٥٤] ابن حجر ، مقدمة فتح الباري ، ص ٢٨٣ .
[٥٥] مجهول ، معجم مصنفات ، ص ٥٨٤ .
[٥٦] كتاب الأضاحي لابن أبي الدنيا ورد عند بعضهم باسم الأضحية . وكذلك كتاب التواضع والخمول ورد معكوساً أي الخمول والتواضع . ينظر : ابن حجر ، المعجم المفهرس ، ص ٨١ و ٩٧ .
[٥٧] الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ١٧ ، ص ١٥٦ .
[٥٨] الألباني ، إرواء الغليل ، ج ١ ، ص ٥٠ و ٦١ و ٦٥ وما بعدها .
[٥٩] دمفو ، ابن ابي الدنيا ومصنفاته ، ص ٤٠ .
[٦٠] ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٥١٦ .

[٦١] سورة النساء ، آية ٦ .
[٦٢] الرافعي ، فتح العزيز ، ج ١٠ ، ص ٢٨٣ .
[٦٣] ابن قتيبة ، غريب الحديث ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .
[٦٤] فقه السنة ، ج ٣ ، ص ٥٧٧ .
[٦٥] ينظر : الشافعي ، الأم ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ . الرافعي ، فتح العزيز ، ج ١٠ ، ص ٢٨٣ .
[٦٦] لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٦٣٥ .
[٦٧] النهاية ، ج ٤ ، ص ٣٨٢ .
[٦٨] البخاري ، صحيح ، ج ٨ ، ص ١١١ .
[٦٩] ابن حجر ، فتح الباري ، ج ١٣ ، ص ١٣٥ .
[٧٠] عبده ، الملكية في الإسلام ، ص ١٩٥ . عبد العال ، التكافل الاجتماعي في الإسلام ، ص ٩٤ .
[٧١] ابن عابدين ، رد المحتار على الدر المختار ، ج ٥ ، ص ٤ .
[٧٢] أبو زهرة ، الملكية ونظرية العقد ، ص ٥٤ . زيدان ، القيود الواردة على الملكية ، ص ٨٨ .
[٧٣] مشهور ، الاستثمار ، ص ٣٥ . الجمال ، موسوعة الاقتصاد الإسلامي ، ص ١٢٥ .
[٧٤] الفراهيدي ، العين ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ، ص ٥٠٣ .
[٧٥] سورة الكهف ، آية ٣٤ .
[٧٦] حردان ، الاقتصاد الإسلامي ، ص ٤٥ . عبده ، الاقتصاد الإسلامي ، ص ٦٧ .
[٧٧] مشهور ، الاستثمار ، ص ٤٦ . السالوس ، الاقتصاد الإسلامي ، ص ٩٨ .
[٧٨] مشهور ، الاستثمار ، ص ٤٦ .
[٧٩] سورة الملك ، آية ١٥ .
[٨٠] سورة هود ، آية ٦١ .
[٨١] سورة المزمل ، آية ٢٠ .
[٨٢] القرطبي ، الجامع لأحكام القران ، ج ١٩ ، ص ٥٦ .
[٨٣] ابن أبي الدنيا ، إصلاح المال ، ص ٩٠ . ينظر : احمد ، المسند ، ج ٤ ، ص ٣٠٧ . الدارمي ، سنن ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ .
[٨٤] رمضان ، فهرس الاحاديث التي رواها ابن ابي الدنيا ، ص ٢٠ .
[٨٥] اصلاح المال ، ص ٤٣ و٨١ . وينظر : دمفو ، ابن ابي الدنيا ومصنفاته ، ص ٤٢ .
[٨٦] ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٣٦ . الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج ٢ ، ص ٦٧٧ .
[٨٧] الذهبي ، سير ، ج ١٠ ، ص ٤٩٣ .
[٨٨] ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ١٤٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٨١ .
[٨٩] حسن ، تاريخ الإسلام ، ج ٣ ، ص ١٨ .
[٩٠] حاج خليفة ، كشف الظنون ، ج ٢ ، ص ١٣٩٢ .
[٩١] المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٨٣ . السمعاني ، الأنساب ، ج ٤ ، ص ٤٧١ .
[٩٢] حردان ، الاقتصاد الإسلامي ، ص ٤٥ . عبده ، الاقتصاد الإسلامي ، ص ٦٧ .

[٩٣] احمد ، المسند ،ج١، ص٧٩ . البخاري ، صحيح ،ج٣ ، ص١٠٨ ، مسلم ، صحيح ،ج١، ص٨٧ .
[٩٤] الجمال ، موسوعة الاقتصاد الإسلامي ، ص ١٢٥ .
[٩٥] سورة النساء ، آية ٥ .
[٩٦] العيال ، ج ١ ، ص ١٢٩ وما بعدها .
[٩٧] مجموع أبواب الكتاب (١٧) باباً .
[٩٨] ابن ابي الدنيا ، اصلاح المال ، ص٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٧ و ٧٨ .
[٩٩] م ، ن ، ص ٧١ و ٧٣ .
[١٠٠] م ، ن ، ٣٩ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ .
[١٠١] م ، ن ، ص ٧١ .
[١٠٢] م ، ن .
[١٠٣] م ، ن ، ص ٧٢ .
[١٠٤] م ، ن ، ص ٧٥ و ٧٦ .
[١٠٥] م ، ن ، ص ٧٦ .
[١٠٦] م ، ن ، ص ٧٦ .
[١٠٧] م ، ن ، صص ٧٦ – ٧٧ .
[١٠٨] م ، ن ، ص ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ .
[١٠٩] م ، ن ، ص ٧٧ و ٧٨ .
[١١٠] م ، ن ، ص ٧٨ .
[١١١] م ، ن ، ص ٩٠و٩٤و١٢٢ . وينظر : دمفو ، ابن ابي الدنيا ومصنفاته ، ص ٤٤ .
[١١٢] وهذا في جميع الأبواب التي بحثها ولا يخرج عن ذلك إلا قليلاً .
[١١٣] حيث بلغت مجموع نصوص الكتاب (٥١٣) نصاً .
[١١٤] ابن ابي الدنيا ، اصلاح المال ، ص ١٣ و١٤ و١٥ و٣٤ و٣٨ و٧٢ و٨٠ و ٨٧ و ٩٤ و ٩٥ .
[١١٥] وهذا ينطبق على مصنفاته الأخرى التي وقفت عليها غير موجود فيها مقدمة .
[١١٦] ابن أبي الدنيا ، إصلاح المال ، ص ١٣ .
[١١٧] م ، ن ، ص ٦٤ .
[١١٨] م ، ن ص ٧٢ .
[١١٩] م ، ن ، ص ٤٣ و ٨١ و ١٠١ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٦ و ١٢٨ .
[١٢٠] م ، ن ، ص ١٣٢ .
[١٢١] م ، ن ، ص ١٢٤ .
[١٢٢] م ، ن ، ص ٤١ و ٤٣ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٤ و ٦٩ و ٧٠ و ٨٠ و ٨٦ و ١٠٥ .
[١٢٣] م ، ن ، ص ١٢٩ . وقد عزاها ابن عبد ربه إلى كتب الهند ، العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٣٤٤ .
[١٢٤] المديني ، ذكر ابن أبي الدنيا ، ص ٣٥٥ .
[١٢٥] ابن ابي الدنيا ، اصلاح المال ، ص ٩٣ و ٩٥ و ٩٩ و ١٢٢ .

[١٢٦] م ، ن ، ص ١٠٢ .
[١٢٧] م ، ن ، ص ٩٠ و ٩٤ و ١٢٢ .
[١٢٨] م ، ن ، ص ١٢٠ و ١٣١ .
[١٢٩] دمفو ، ابن ابي الدنيا ومصنفاته ، ص ٤٧ .
[١٣٠] ابن ابي الدنيا ، اصلاح المال ، ص ٣٩و٧٣و٧٤و٧٥و٧٧و٧٨ .
[١٣١] م ، ن ، ص ٤٣و٨٠و١٠١ .
[١٣٢] دمفو ، ابن ابي الدنيا ومصنفاته ، ص ٤٩ .
[١٣٣] م . ن ، ص ٥٠ .
[١٣٤] ابن عبد البر ، التمهيد ، ج ١ ، ص ٣ . دمفو ، ابن أبي الدنيا ومصنفاته ، ص ٢ .
[١٣٥] تدريب الراوي ، ج ١ ، ص ١٩٨ .
[١٣٦] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ٨٢ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٨٦ .
[١٣٧] ابن ابي الدنيا ، إصلاح المال ، ص ٥١ .
[١٣٨] دمفو ، ابن ابي الدنيا ومصنفاته ، ص ٥١ .
[١٣٩] ابن ابي الدنيا ، اصلاح المال ، ص ٦٠و٦٤و٧٠و١٠٥ .
[١٤٠] م ، ن ، ص ٨١و١٠١و١٢٠و١٣١ .

Book repair money to Ibn Abi minimum curriculum and objectives

Assistant Professor Dr.Muqtedar Hamdan Abdul Majeed
Baghdad University / College of Education Ibn Rushd

Summary:
The book repair money to Ibn Abi minimum (d. ٢٨١ AH) of the most prominent sources of Islamic economic thought , as it gives an honorable history of Islamic Economics . And shows the kind of accuracy and justice that came with them our religion , in other cases , so it represents an important aspect of Islamic economic theory In spite of that this topic may ways by Ibn Abi world and beyond , but the advantage of this book from others appear evident after knowing the scientific status of large reached by the author , and the time that class in it, and the topics discussed under advisement and Tani and moderation .